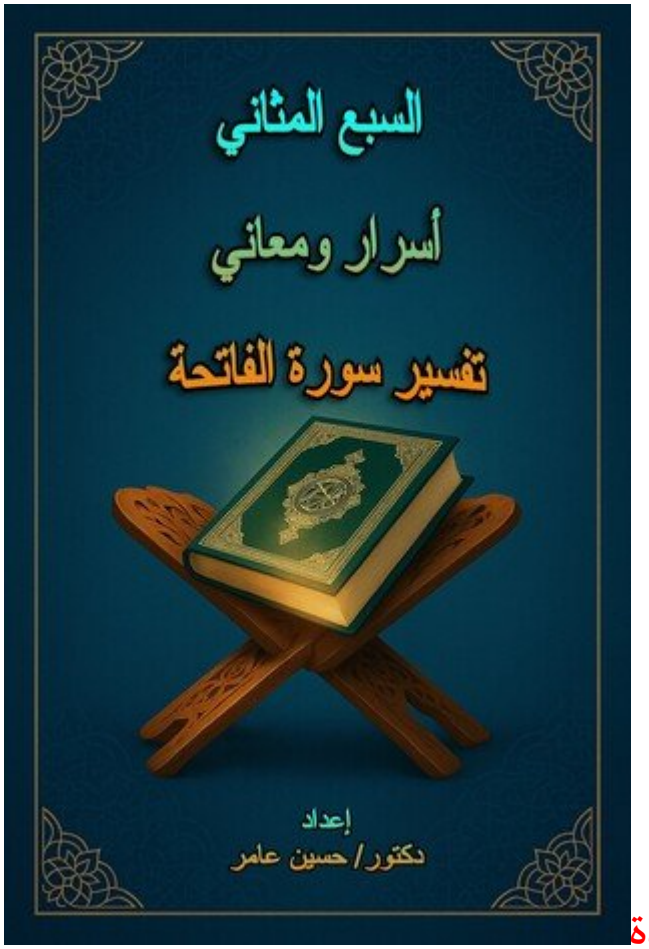


## 12- المعنى الشامل للعبادة

### العبادة في الإسلام

أولًا: عبادة الله وحده لا شريك له هي الغاية من خلق الجن والإنس، قال تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (الذاريات: 56).

وعن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – أنه قال:(كنت رديف النبي – صلى الله عليه وسلم – على حمار، فقال لي: (يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟)

فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً)

فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشّر الناس؟ قال: (لا تبشروهم فيتّكلوا) متفق عليه.

والعبادة في عرف كثير من الناس هي الصلاة والصيام وتلاوة القرآن فقط ، لكن هذا تضييق لمفهوم العبادة.

ولذلك أعجبني تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حينما قال:

"العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة".

شرح التعريف:

(اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه) فهي تجمع كل قول وكل فعل يحبه الله ويرضاه.

(من الأقوال) الأقوال تشمل العبادات القولية: القرآن، الذكر، النصيحة، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، الكلمة الطيبة.

(والأفعال ) مثل: الصلاة والصدقة ، والحج، وصلة الرحم، وإغاثة الملهوف، وإعانة المحتاج، كل هذه أفعال طيبة.

(الظاهرة) هي الواضحة للناس.

(والباطنة ) هي العبادات القلبية: حب لله، الرجاء والخوف من الله، الرضا عن الله وعن أقدار الله وهكذا.

إذن فكل عمل تُرضي به وكل قول تُرضي به الله فهو عبادة.

العبادة تسع الحياة كلها :

فالعبادة ليست قاصرة على الشعائر التعبدية ولكنها أشمل.

فالشعائر ( الصلاة ـ الصوم ـ الزكاة ـ الحج ....إلخ ) جزء من العبادة وليست كل العبادة ، فهي تشمل ما زاد على الفرائض من ألوان التعبد التطوعي من ذكر وتلاوة ودعاء واستغفار، وتسبيح وتهليل وتكبير وتحميد.

وهى تشمل حسن المعاملة والوفاء بحقوق العباد ، كبرّ الوالدين وصلة الأرحام ، والإحسان لليتيم والمسكين وابن السبيل ، والرحمة بالضعفاء والرفق بالحيوان.

وهى تشمل الأخلاق والفضائل الإنسانية كلها ، من صدق الحديث وأداء الأمانة ، والوفاء بالعهد وغير ذلك من مكارم الأخلاق.

كما تشمل ما نسميه "بالأخلاق الربانية " من حب الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وخشية الله والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه ، والتوكل عليه والرجاء لرحمته .

كما أن العبادة تسع الحياة كلها وتنتظم أمورها قاطبة : من أدب الأكل والشرب وقضاء الحاجة ، إلى بناء الدولة وسياسة الحكم وسياسة المال ، وشئون المعاملات والعقوبات ، وأصول العلاقات الدولية في السلم والحرب.

## أثر النية في الأعمال:

كثير من الأعمال يقوم بها أحدنا بتلقائية لأنها من الروتين الذي يفعله دائما، لكن لو جددت نيتي وأنا ذاهب إلى عملي، أو الطالب جدد نيته وهو ذاهب للدراسة؛ فهو بذلك في عبادة لله سبحانه وتعالى.

ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث" وذكر "علم ينتفع به" سواء علم شرعي، أو علم دنيوي، طالما ينتفع به، فهذا في سبيل الله.

أيضًا خروجك للعمل وتعبك وكدّك في سبيل أن تحصل لقمة العيش الحلال الطيب تنفق بها على أولادك، أنت في عبادة.

لما رأى الصحابة شابًا قويًا يمر بهم قالوا: "لو كان هذا في سبيل الله"، هم يقصدون في سبيل الله يعني ينضم للجيش المقاتل وهذه العضلات المفتولة والبنيان القوي يكون قوة للمسلمين. فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يوسع مفهوم "في سبيل الله" وأنه ليس مقصورًا على القتال، قال: "إن كان خرج على أولاد له صغار ينفق عليهم فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين

كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج ليعف نفسه فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياءً ومفاخرة (يعني يتباهى بعضلاته وبنيانه وقوته) فهو في سبيل الشيطان".

## عبادات الزوجين:

الرجل يجب عليه السعي والعمل لإعفاف نفسه وأهله والإنفاق عليهم مثلًا:

- أنت تذهب لشراء المواد الغذائية لأولادك ، وحينما تطعم أولادك، أو تشتري لهم الملابس احتسب النفقة عبادة لله.
- ولو كان ابنك مرض تذهب به إلى الطبيب وتشتري له الدواء، أنت في عبادة.

والرسول – صلى الله عليه وسلم قال: "دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته على مسكين ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك".

لأنك أنت المسؤول، من سينفق عليهم غيرك إن ضيعتهم؛ فأنت مسؤول في المقام الأول عن أولادك.

هل معنى ذلك أن النفقة على بيتي أعلى أجرًا من النفقة على المسجد؟

أي نعم.

النفقة على بيتي أفضل من إطعام يتيم أو مسكين؟

أي نعم.

لأن إطعام أولادك فرض، وإنفاقك على أولادك فيما يلزمهم فرض.

أما إنفاقك أو إطعامك للمسكين فهو سنة، والواجب مقدم على الفرض.

والرسول – صلى الله عليه وسلم – قال: "كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول" وذلك بأن يمتنع عن بذل ما يحتاجه أولاده بما معه .

ويقول أيضًا صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص: "فإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا كان لك فيها أجر، حتى اللقمة تضعها في في امرأتك".

اللقمة تضعها في فيّ (فم) امرأتك، أي سواء كنت تشتريها وهي تطبخ وتضع هذه اللقمة بنفسها في فمها، أو من باب حسن العشرة أنت تطعمها بيدك، لك في ذلك أجر.

والرسول صلى الله عليه وسلم كان يتكلم على تعداد أبواب الخير، قال لأصحابه: "وفي بضع أحدكم صدقة" يقصد الجماع فيه صدقة.

فعجب الصحابة لأن هذه مسألة غريزة فطرية، قالوا: "يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته وله فيها أجر؟" قال: "أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟"

وهناك عبادات لا تقوم بها إلا النساء مثل: الحمل والرضاع، وحسن التبعل والعشرة لزوجها، وخدمتها لأولادها، والسهر على راحتهم وتربيتهم وهكذا.

والزوجة عندما تهتم بشؤون بيتها ، وتعد الطعام لأسرتها نرى البعض يدعي أن هذا ينافي أنوثتها ، وأن هذا طغيان من الرجل، وأنه أثر من آثار المجتمع الذكوري.

المرأة الصالحة حينما تحسن التبعل لزوجها هي تعلم بذلك أنها تطيع الله عز وجل، والرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إذا صلت المرأة خمسها (الخمس فروض) وصامت شهرها (شهر رمضان) وأحصنت فرجها وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي من أي أبواب الجنة شئتِ".

وعن جابر بن عبد الله ، قال: " بينا نحن قعود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتته امرأة ، فقالت: يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك ، يا رسول الله : رب الرجال ورب النساء الله عز وجل ، وآدم أبو الرجال وأبو النساء ، وحواء أم الرجال وأم النساء ، وبعثك عز وجل إلى الرجال والنساء ، فالرجال إذا خرجوا في سبيل الله فقتلوا فهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وإذا خرجوا فلهم من الأجر ما قد علمت، ونحن نخدمهم ونحبس أنفسنا عليهم ، فماذا لنا من الأجر؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( أقرئي النساء مني السلام وقولي لهن: إن طاعة الزوج تعدل ما هنالك ، وقليل منكن تفعله ) .

وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها، أنها أتت النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو بين أصحابه فقالت: بأبي أنت وأمي إني وافدة النساء إليك – واعلم نفس لك الفداء – أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت

بمخرجي هذا إلا وهى على مثل رأيي، إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء، فآمنا بك وبإلهك الذي أرسلك، وإنا معشر النساء محصورات ومقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضي شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعات، وعيادة المرض، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟

فالتفت النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: " هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه "؟

فالتفت النبي – صلى الله عليه وسلم – إليها ثم قال: " انصرفي أيتها المرأة، واعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها لمرضاته واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله "، فأدبرت المرأة وهى تهلل وتكبر استبشاراً.) رواه البيهقي وضعفه الألباني لكن يشهد له الحديث قبله وسنده حسن.

إذا فالمرأة إذا قامت بذلك فإنها تقوم بعبادة لا يقوم بها غيرها، كإرضاع أطفالها، أو إطعامهم، أو تنظيفهم، أو تغيير ثيابهم، أو إعداد الطعام لهم، هذه عبادة لا يقوم بها هؤلاء الذين يريدون أن تكون المرأة حرة مطلّقة كما زعموا، وأن تكون متمردة وناشز، الإسلام يجعل كل واحد له طاقات وله خصائص توظف في إطارها الصحيح.

## جدد النية دائمًا :

حينما تقوم بالعمل حتى يكون العمل عبادة خالصة لله عز وجل، جدد النية دائمًا. "إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى "ومن الممكن أن العادات التي تقوم بها يكون فيها أجر من الله سبحانه وتعالى.

"ولكل امرئ ما نوى" فأنت حينما تقوم بأي عمل من العادات التي يقوم بها الإنسان بحكم الفطرة، الإسلام يحولها لك بالنية إلى عبادة.

وقال أنس ويذكر هذا أيضًا عن معاذ: "إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي" فكما أنه يقوم طاعة لله فإنه ينام طاعة لله سبحانه وتعالى.